

سيمياء الموقف السياسي في شعر الجواهري، دراسة في الأنساق الثقافية والأيدولوجية (مواقف الجواهري السياسية من خلال شعره)  
الدكتور أيوب عمر علي  
قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة صلاح الدين، أربيل، إقليم كردستان، العراق  
البريد الإلكتروني: Ayub.ali@su.edu.krd

### المُستخلص

تنهض هذه الدراسة على فحص المواقف السياسية للشاعر محمد مهدي الجواهري (1899-1997م) كما تتجلى في مدونته الشعرية، وذلك من زاوية سيميائية ثقافية تُعنى بكشف الأنساق الأيدولوجية المتوارية خلف البنى الجمالية. وتسعى الدراسة إلى تجاوز المقاربات الانطباعية التي تكتفي برصد المواقف وتسجيلها، إلى مقاربة نقدية تُحلّل جدلية «ثبات المبدأ» و«تحول التكتيك» في تجربة الشاعر الممتدة قرابة ثمانية عقود. وقد انتظمت الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث: تناول الأول المرجعية السياسية وآليات تشكّل الوعي، وعالج الثاني ثنائية الداخل والخارج، فيما حُصص الثالث لاستراتيجيات الخطاب السياسي. واتكأت الدراسة على البنيوية التكوينية عند غولدمان والنقد الثقافي عند الغدّامي، وانتهت إلى نتائج من أبرزها: أن مواقف الجواهري السياسية ذات طابع ديناميّ تطوّر بتطوّر الوعي، وأنه أرسى للشعر العربي الحديث «هويةً سياسية» تجاوزت الانتماءات الحزبية الضيقة إلى أفق الالتزام الوطني والقومي الشامل.

**الكلمات المفتاحية:** السيميائية؛ الموقف السياسي؛ الجواهري؛ الأنساق الثقافية؛ الأيدولوجيا؛ النقد الثقافي؛ البنيوية التكوينية؛ شعر الالتزام؛ المثقف والسلطة؛ الخطاب السياسي.

## **Semiotic Analysis of the Political Stance in Al-Jawahir's Poetry: A Study of Cultural and Ideological Patterns**

(Al-Jawahir's Political Positions through His Poetry)

Dr. Ayub Omar Ali

Department of Arabic Language, College of Basic Education, Salahaddin University – Erbil

### **Abstract**

This study investigates the political stances of the Iraqi poet Muhammad Mahdi al-Jawahiri (1899–1997) as articulated through his poetic corpus, drawing upon a cultural-semiotic framework that aims to disclose the ideological patterns embedded beneath the aesthetic surface of his verse. Moving beyond impressionistic readings that merely catalogue the poet's positions, the paper proposes a critical reading that interrogates the dialectic between the constancy of principle and the transformation of stance throughout an experience spanning nearly eight decades. The study comprises an introduction, a preamble, and three chapters addressing, respectively, the poet's political background and the formation of his consciousness; the duality of homeland and exile; and the strategies of his political discourse. Methodologically, the research draws on Lucien Goldmann's genetic structuralism and Abdullah al-Ghadhami's cultural criticism. Among its principal findings is that al-Jawahiri's political positions were dynamic and evolved alongside his political awareness, and that he founded

a distinctive political identity for modern Arabic poetry, transcending narrow partisan affiliations toward a comprehensive national and pan-Arab commitment.

**Keywords:** Semiotics; Political stance; al-Jawahiri; Cultural patterns; Ideology; Cultural criticism; Genetic structuralism; Committed poetry; Intellectual and authority; Political discourse.

#### المقدّمة

يحفلُ تاريخ الشعر العربي الحديث -على رحابته وتعدّد منعطفاته- بتجاربٍ محدودةٍ يصحُّ وصفها بأنّها «تجاربٌ سياسيةٌ بامتياز»؛ بمعنى أنّ الموقف السياسي فيها لم يكن موضوعاً عابراً ولا مرحلةً ضمن مراحل التجربة، بل شكّل العمود الفقري للقصيدة، والمحرّك الباطن لكلّ بنائها الجمالي. ومن أبرز هذه التجارب تجربة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري (1899-1997م)، الذي تحوّلت القصيدة في يديه إلى ما يشبه «الوثيقة السياسية» و«الأداة التحريضية» في أن معاً (علوان، 1990، ص. 4).

ولعلّ ما يميّز الجواهري في باب الالتزام السياسي ليس مجرد كثرة القصائد السياسية في ديوانه -وهي بالعشرات بل بالمئات- وإنما تلك القدرة النادرة على المحافظة على «ثبات المبدأ» في الوقت الذي تتغيّر فيه «تكتيكات الموقف» تبعاً للطرف السياسي وللحظة التاريخية. فالجواهري الذي بدأ شاعراً قريباً من الملك فيصل الأول انتهى شاعراً للحريات والثورة، دون أن يُعدّ ذلك تناقضاً، بل تطوّراً طبيعياً للوعي السياسي في مواجهة المتغيّرات (الجواهري، 1988، ج1، ص. 12).

#### إشكالية البحث

تنبثق إشكالية هذا البحث من السؤال المركزي الآتي: كيف استطاع الجواهري أن يوائم بين انتمائه الفكري الثابت من جهة، وتقلّبات الواقع السياسي المعقّد في العراق والوطن العربي من جهة أخرى؟ وهل كان شعره تعبيراً عن أيديولوجيا حزبية ضيقة، أم رؤيةً وطنيةً شاملةً تتجاوز الانتماءات الجزئية؟ ويتفرّع عن هذه الإشكالية ثلاثة أسئلة فرعية:

- ما الأنساق الثقافية المضمرة خلف خطاب الجواهري السياسي؟
- كيف تطوّرت اللغة السياسية في شعره من القاموس الكلاسيكي إلى الرمز الحديث؟
- ما طبيعة علاقته بالسلطة -قرباً ومعارضةً- عبر العقود؟

#### أهمية البحث

تتجلّى أهمية البحث في ثلاثة أبعاد متكاملة: البُعد المعرفي، إذ يُسهم في إثراء الدراسات النقدية التي تتناول شعر الجواهري من زوايا نقدية حديثة (السيمائية، النقد الثقافي، البنوية التكوينية). والبُعد التطبيقي، إذ يقدّم نموذجاً عملياً لتطبيق هذه المناهج النقدية على نصوصٍ شعرية ذات طابع كلاسيكي. والبُعد الفكري، إذ يُعيد طرح سؤال «علاقة المثقف بالسلطة» من خلال تجربةٍ شعريةٍ نموذجية.

#### أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية: أوّلها رصد التطوّر الفكري للمواقف السياسية عند الجواهري من العصر الملكي إلى العصر الجمهوري، وثانيها تحليل اللغة السياسية في شعره من حيث القاموس والرمز والنبرة الخطابية، وثالثها الكشف عن علاقة المثقف بالسلطة من خلال تجربة الشاعر في المنفى والسجن والقرب من مراكز القرار.

## منهج البحث

لتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث منهجاً مزدوجاً يجمع بين البنيوية التكوينية -وفق تأصيلات لوسيان غولدمان- لربط النصّ الشعري بالبنية الاجتماعية والسياسية المنتجة له، والنقد الثقافي -وفق تأصيلات عبد الله الغدّامي- لاستخراج الأنساق السياسية المضمرة خلف الجماليات الشعرية (غولدمان، 1985، ص. 35؛ الغدّامي، 2005، ص. 82). وقد انتظم البحث في تمهيدٍ وثلاثة مباحث: الأول في «المرجعية السياسية وتشكيل الوعي»، والثاني في «ثنائية الداخل والخارج في الموقف السياسي»، والثالث في «استراتيجيات الخطاب السياسي»، فالخاتمة بأبرز النتائج.

## صعوبات البحث وحدوده

لم يخلُ البحث من صعوباتٍ منهجية، أبرزها ضخامة المادة الشعرية -سبعة أجزاءٍ من الديوان- وتنوعُ مواقف الجواهري عبر عقودٍ متعدّدة، مما يجعل الإحاطة التامة بها أمراً عسيراً. ولتجاوز هذه الصعوبة، لجأ الباحث إلى منهج «العينة الممثلة»، فاختر من كلّ مرحلةٍ نماذج دالةٍ وقف عندها بالتحليل والتأويل. ولا يدّعي البحث -في ختام هذه الإشارة المنهجية- الإحاطة التامة بهذه التجربة الفدّة، وإنما يطمح إلى فتح نافذةٍ لقرأةٍ نقديةٍ جديدة، تُسهم في فهمٍ أعمقٍ لشاعر القرن العشرين.

## التمهيد: الشاعرُ والسياسةُ في تجربة الجواهري

### تحديد المصطلحات المركزية

يقتضي البحث -قبل اللوج إلى مادّته التطبيقية- الوقوف عند المصطلحات المركزية التي تتمحور حولها الدراسة، وهي مصطلحاتٌ تتقاطع فيها حقولُ الأدب والنقد والسياسة والفلسفة:

(1) السياسة (Politics): وردت لفظة «السياسة» في المعاجم العربية بدلالاتٍ متعدّدة، أبرزها: «ساسَ الأمرَ سياسةً» أي قام عليه ودبّره، و«رجلٌ ساسٌ من قومٍ ساسةٍ وسّاسٍ». والسياسةُ في الاصطلاح: «القيامُ على الشيء بما يُصلحه» (ابن منظور، 1994، مادة سوس). ويُلاحظ أنّ السياسة في التراث العربي مرتبطةٌ بدلالة «الإصلاح»، خلافاً لمفهومها الغربي المعاصر المرتبط بالصراع على السلطة.

(2) الموقف السياسي (Political Stance): مصطلحٌ نقديٌّ يُشير إلى الموقف الفكري والوجداني الذي يتبنّاه المُبدع تجاه القضايا السياسية، ويظهر في خطابه عبر اختيارات لغويةٍ وجماليةٍ بعينها.

(3) السيميائية (Semiotics): علمُ العلامات الذي يدرس كيفية إنتاج الدلالة في الأنساق الرمزية، ومنها النصوص الأدبية، ويُعنى بالكشف عن المعاني المتوارية خلف البنى الظاهرة (بارت، 1993، ص. 33).

(4) الأنساق الثقافية (Cultural Patterns): بنىٌ ذهنيةٌ متواريةٌ تنتظم في وعي الجماعة وتوجّه إنتاجها الرمزي، وقد تكون ظاهرةً مُعلنةً، أو مضمرةً تعمل من خلف خطابٍ جماليٍّ مُغرٍ (الغدّامي، 2005، ص. 77).

(5) الأيديولوجيا (Ideology): منظومةُ الأفكار والقيم التي يتبنّاها فردٌ أو جماعة، وتوجّه سلوكهم وفهمهم للعالم. وهي عند غرامشي ليست مجرد «وعي زائف»، بل «نظامٌ من المفاهيم والصور والقيم والممارسات التي تُنتجها طبقةٌ اجتماعيةٌ معيّنة» (غرامشي، 1994، ص. 132).

(6) النقد الثقافي (Cultural Criticism): منهجٌ نقديٌّ حديثٌ يتجاوز النقد الجمالي التقليدي إلى كشف «الأنساق الثقافية المضمرة» في النصّ، ومن أبرز رواده في الفكر العربي عبد الله الغدّامي (الغدّامي، 2005، ص. 81).

(7) البنيوية التكوينية (Genetic Structuralism): منهجٌ نقديٌّ أصّله لوسيان غولدمان، يقوم على «ربط النصّ الأدبي بالبيئة الاجتماعية والسياسية التي أنتجته، باعتباره نتاجاً لرؤيةٍ للعالم تنتمي إلى طبقةٍ اجتماعيةٍ بعينها» (غولدمان، 1986، ص. 35).

- (8) الخطاب السياسي (Political Discourse): مصطلحٌ نقديُّ يُشير إلى مجموعة النصوص التي تتداول القضايا السياسية وتتسكّل وفق نظامٍ من الإكراهات والقواعد (فوكو، 2007، ص. 45).
- (9) شعر الالتزام: مفهومٌ نقديُّ ظهر في النقد العربي في الخمسينيات متأثراً بفلسفة سارتر، يُشير إلى الشعر الذي يلتزم صاحبه فيه بقضايا أمته وإنسانيّتها، فلا يكتب من أجل الفنّ فحسب، بل من أجل تغيير العالم.
- (10) المثقف والسلطة: ثنائيةٌ فكريةٌ مركزيةٌ في الفكر النقدي المعاصر، طرحها غرامشي بمفهوم «المثقف العضوي»، وتناولها سعيد في «تمثيلات المثقف»، وتدرس علاقة المثقف بالسلطة السياسية قبولاً ومعارضةً. ودوره في تشكيل الوعي العام (سعيد، 1996، ص. 27).

### الشاعرُ والسياسةُ — مدخلٌ نظري

تُعدُّ علاقةُ الشعر بالسياسة من العلاقات القديمة المتجددة في تاريخ الأدب العربي؛ فقد اتّصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهلي، وتطوّر هذا الاتّصال بتطوّر السياق التاريخي والاجتماعي. والشعرُ يتناول القضايا السياسية بطريقته الفنية التصويرية، دون أن يلتزم البراهين المنسقة، أو الجدل المُحكّم العناصر، أو التفصيل المُسهّب (الشايب، 1976، ص. 5).

وتنبثق علاقة الجواهري بالسياسة من هذا التراث الطويل، غير أنّها تنماز عنه بثلاث خصوصيات: أولها العمقُ الأيديولوجي، إذ ليس الجواهري مجرد شاعرٍ سياسي، بل مفكّرٍ سياسيٍّ يحمل رؤيةً متكاملةً للعالم. وثانيها الالتزامُ العملي، إذ لم يكتفِ بالقول، بل دفع ثمن مواقفه سجنًا ومنفىً. وثالثها الاستمراريةُ الزمنية، إذ مارس السياسة شعرًا وعملاً قرابة ثمانين عاماً.

وقد رأى علوان أنّ الجواهري قد مارس العمل السياسي وانخرط في الحركات السياسية «من الباب الواسع»، عبر شعره ومواقفه المتعددة من أحداث العصر في وطنه العراق (علوان، 1975، ص. 254). ولقطة «المتعددة» هنا مفتاحية، إذ تُحيل إلى ديناميكية المواقف التي تُشكّل محورَ هذا البحث.

ويُلاحظ الدجيلي أنّ الجواهري احترّف مهنة السياسة منذ بواكير عمره، فمنذ نظم قصيدته «الثورة العراقية» -التي كُتبت في الأيام الأخيرة للثورة وناهزت الخمسة والثمانين بيتاً- رسم بمهارةٍ فجّة أولى خطواته على طريق الشعر السياسي، كاشفاً عن المبادئ الأولى لحسّه الوطني. وحين بلغ شعره سنّ الرشد تطوّرت عفوية المشاركة إلى ممارسةٍ واعيةٍ للأحداث، تدلّ عليها متانة التفكير السياسي في إنتاجه ما بعد الثلاثين (الدجيلي، 1972، ص. 21). وتُحدّد هذه الإشارة ثلاث مراحل لتطوّر الموقف السياسي عند الجواهري: مرحلة العفوية، مرحلة الوعي، ومرحلة النضج الفلسفي.

ولا يستقيم فهمُ الموقف السياسي عند الجواهري بمعزلٍ عن السياق التاريخي الذي عاشه؛ فالشاعر عاصر تحولاتٍ هائلةً في تاريخ العراق والوطن العربي: من الاحتلال البريطاني إلى تأسيس الدولة، فالعهد الملكي، فثورة الرابع عشر من تموز 1958م، فانقلاب شباط 1963م، فحزبة البعث، فالحرب العراقية-الإيرانية، فحرب الخليج. وقد تفاعل مع كلّ هذه التحولات تفاعل المنخرط لا المتفرّج، مما جعل شعره صورةً واضحةً للحالة السياسية في العراق (الطاهر، 1980، ص. 38).

### المبحث الأول: المرجعيةُ السياسيةُ وتشكّلُ الوعي

#### (الأصول والمنطلقات)

يقوم هذا المبحث على فرضيةٍ مركزيةٍ مفادها أنّ الموقف السياسي عند الجواهري لم يكن موقفاً «ولادياً» ولا «موروثاً»، بل موقفاً مكتسباً متطوّراً عبر مراحل حياته المتعددة. ومن ثمّ فإنّ فهم هذا الموقف يستوجب تتبّع مساراته التكوينية -بالمعنى الغولدماني- من حيث المؤثرات الاجتماعية والثقافية والفكرية التي شكّلت وعيه السياسي. وسنتناول في هذا المبحث ثلاث مراحل متّصلة: علاقته بالمحيط الوطني، فموقفه من المؤسسة الملكية، فتحولُه نحو الفكر النقدي.

المطلب الأول: الجواهري والمحيط الوطني (الموقف من الاستعمار والمعاهدات الجائرة)

وُلد الجواهري سنة 1899م في مدينة النجف الأشرف، التي شكّلت بعمقها الديني والثقافي والوطني مرجعاً تكوينياً أوّل لوعيه السياسي. فقد نشأ في بيئة مزدوجة التأثير: البيئة الدينية المتمسكة بالموروث، والبيئة الوطنية التي قادت ثورة العشرين 1920م ضدّ الاحتلال البريطاني. ومن تفاعل هذين المؤثرين تشكّل وعيه السياسي المبكّر.

وكانت ثورة العشرين المحطّة الأولى التي اختبر فيها الجواهري موقفه السياسي، فانحاز منذ البداية إلى صفّ الثورة ضدّ الاحتلال. ومن قصائده الباكّة في هذا الاتجاه قصيدته «ثورة العراق»، يقول فيها مخاطباً الثوّار (الجواهري، 2000، ج1، ص. 101):

هَبُوا كَفْتَكُمْ عِبْرَةً      آثَارُ مَنْ قَدْ رَقَدُوا  
هَبُوا عَنِ الْعِرَّةِ كَمْ      يَنَامُ هَذَا الْأَسَدُ؟

تتجلّى في هذين البيتين بصمةً سياسيةً مبكّرةً للجواهري، تنطوي على ثلاث سماتٍ ستلزم خطابه السياسي طوال حياته: أوّلها النبرة التحريضية (هَبُوا)، وثانيها استدعاء التراث (عبرة من رقدوا)، وثالثها توظيف الرمز (الأسد). وستتطوّر هذه السمات الثلاث -كما سنرى- مع الزمن، غير أنّها ستظلّ ثوابت في خطابه السياسي.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الجواهري -منذ هذه القصيدة المبكّرة- لم يفصل بين الموقف السياسي والفعل السياسي، فالقصيدة عنده ليست مجرد تعليقٍ على الحدث، بل مشاركةٍ فيه. ويرى كريم أنّ الجواهري هو الشاعر العراقي الوحيد الذي «نزل من برج القصيدة إلى ساحة الفعل السياسي، فدفع ثمن ذلك من حرّيته ووطنه» (كريم، 2002، ص. 62).

ويتطوّر موقف الجواهري من الاستعمار بعد ثورة العشرين ليأخذ بُعداً أعمق في قصائده المتأخّرة، خصوصاً تلك التي نظمها ضدّ المعاهدات غير المتكافئة بين العراق وبريطانيا، ومنها معاهدة 1930م ومعاهدة بورتسموث 1948م. وقد فجّرت الأخيرة في الجواهري نبرةً غاضبةً متّقدة، تجلّت في قصيدتي «وثبة كانون» و«رثاء أخيه جعفر» (الجواهري، 1973، ج2، ص. 115):

أَتَعْلَمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ      بَأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا فَمُ  
فَمُ لَيْسَ كَالْمُدْعَى قَوْلُهُ      وَلَيْسَ كَأَخَرَ يَسْتَفْهَمُ

تكشف هذه الأبيات عن تطوّر خطابيّ عن نبرة «ثورة العراق» المبكّرة؛ فالجواهري هنا لا يكتفي بالنداء والتحريض، بل ينطق بلسان الجراح نفسها، فيحوّل الجريح من ضحيّة صامتة إلى خطيبٍ مُفوّه يفضح الظالم ويُنَبِّه الغافل. وهذا التحوّل التشخيصي من أبرز ملامح نضوج الخطاب السياسي عند الجواهري.

المطلب الثاني: الموقف من المؤسسة الملكية (بين النقد والقطيعة)

تُمثّل علاقة الجواهري بالمؤسسة الملكية -ولا سيّما الملك فيصل الأوّل- أعقد المراحل في تجربته السياسية، إذ تتراوح بين القرب الشخصي في البدايات والنقد الشديد في المراحل المتأخّرة. وقد كان الجواهري في عشرينياته من المقربين من الملك فيصل الأوّل، حتى عُيّن معلماً في البلاط الملكي لتدريس أبناء الأسرة الهاشمية (الجواهري، 1988، ج1، ص. 178).

غير أنّ هذه العلاقة -مع تطوّر وعي الجواهري- أخذت منحىً نقدياً، خصوصاً بعد وفاة فيصل الأوّل سنة 1933م، وتولّي الملك غازي ثمّ الوصيّ عبد الإله، الذي شكّلت في عهده منظومة نوري السعيد السياسية. وقد غدا الجواهري من أشدّ المعارضين لهذه المنظومة، فنظم فيها قصائد غاضبة، منها قصيدته في وزير الصحة هاشم الوترى سنة 1949م، يقول فيها (الجواهري، 1973، ج3، ص. 188):

أغرّي الوليدَ بستمهم والحاجبا      وأطأ الطُغاةَ يُسَيِّعُ المتغالبيا

أَعْقَرِ الْجَبَاهَاتِ لِلأَحْيَاءِ يَكُ لَبُّ فِي حُلُوقِهِمُ الْحَنِينُ تَكَالِبَا

تنطوي هذه الأبيات على نموذج مكتمل للهجاء السياسي عند الجواهري، تتبدى فيه أربع سمات: الأنا المتعالية، والسخرية المرّة، والتفريغ المباشر، وتحويل الخصم إلى نموذج سلبي. ويرى الدجيلي أنّ هذه القصيدة تُعدّ من أرقى نماذج الهجاء السياسي في الشعر العربي الحديث، إذ جمعت بين الجزالة الكلاسيكية والشحنة السياسية المعاصرة (الدجيلي، 1972، ص. 61).

وبتطبيق منظور النقد الثقافي - وفق رؤية الغدّامي - على هذا الخطاب، تنكشف فيه جدلية نسقين متضافرين: نسق الفحولة الشعرية (تعالى الأنا الشاعرة، والإفراط في تحقير الخصم)، ونسق المعارضة السياسية (رفض السلطة، وفضح الفساد). فكثيراً من القوائد السياسية في الشعر العربي تتأسس على نسق الفحولة المضمر، الذي يجعل من الشاعر ذاتاً متعاليةً تواجه السلطة من موقع اللدّ، لا من موقع الاحتجاج المدني (الغدّامي، 2005، ص. 105).

ولا يُقلّل هذا التحليل النقدي من القيمة السياسية والأدبية لهذه القوائد، بل يكشف عن تعقيد الخطاب السياسي عند الجواهري، الذي ينسج بين «الموروث البلاغي التراثي» و«الوعي السياسي المعاصر» في نسيج واحد.

المطلب الثالث: التحوّل نحو الفكر التقدّمي (وأثره في لغة الموقف السياسي)

شكّلت حقبة الأربعينيات والخمسينيات مرحلة تحوّل نوعي في وعي الجواهري السياسي، إذ تأثّر بالأفكار التقدّمية المنتشرة آنذاك، وخصوصاً الأفكار الاشتراكية التي كانت تجتاح الوسط المثقّف العراقي. وقد تجلّى هذا التحوّل في ثلاثة مستويات: مستوى المضمون (التركيز على القضايا الاجتماعية والاقتصادية)، ومستوى اللغة (دخول مفردات جديدة كالفقير والكادح والجائع)، ومستوى الموقف (الانحياز الواضح إلى الطبقات الفقيرة).

ومن أبرز نماذج هذا التحوّل قصيدة «تنويمه الجياع»، يقول فيها (الجواهري، 1973، ج3، ص. 133):

نامي جياغ الشعب نامي حَرَسْتُكَ ألهة الطعام  
نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام  
نامي على ربّ الوعود يُداعِبُ الشفة الظمأ

تكشف هذه القصيدة عن تحوّل بنيوي في خطاب الجواهري السياسي؛ فبينما كان في القوائد السابقة يُخاطب «النخبة» (الثوار، الزعماء، الحكّام)، نراه هنا يُخاطب «الجماهير» (الجياع، الفقراء). وبينما كان يستخدم المعجم الكلاسيكي الجزل، نراه هنا يفتتح على مفردات ذات حمولة اجتماعية جديدة (الجياع، الوعود، الحرمان). وهذا التحوّل المعجمي ليس شكلياً فحسب، بل يعكس تحوّلًا في الرؤية وفي الجمهور المستهدف.

ويرى علوان أنّ «تنويمه الجياع» تُمثّل نقطة التحوّل الكبرى في خطاب الجواهري من الشعر السياسي النخبوي إلى الشعر السياسي الجماهيري، ومن لغة المثقّف المنغلق إلى لغة المثقّف العضوي (علوان، 1990، ص. 87). ويُذكر هذا التوصيف بمفهوم غرامشي للمثقّف العضوي، الذي يخرج من برج النخبة ليعبر عن طبقته ويصوغ وعيها (غرامشي، 1994).

ومن سمات هذا التحوّل كذلك توظيف الرمز الاجتماعي بدلاً من الرمز السياسي المباشر؛ ففي قصيدة «يا دجلة الخير» يستخدم الجواهري نهر دجلة رمزاً للوطن المفقود والشعب المظلوم والذاكرة الجمعية، يقول (الجواهري، 1973، ج4، ص. 251):

يا دجلة الخير يا أمّ البساتين سَقَيْتِ بِالْخَيْرِ مَنْ جَارُوا وَمَنْ دَانُوا  
وَمَرَّ بِكَ التَّارِيخُ يَجْتَرُّ ذِكْرِي فَأَنْتِ شَاهِدَةٌ وَالشَّاهِدُ الْمُؤْمَنُ

ينطوي هذان البيتان على نسقٍ ثقافيٍّ مُضمرٍ يستحقُّ التوقفَ عنده؛ فدلجتهُ هنا ليست مجرد نهرٍ، بل «أمٌّ» (نسق الأمومة) و«شاهدٌ مؤمن» (نسق الشهادة الدينية). ويكشف هذا التوظيفُ المزدوجُ للنسقين الديني والاجتماعي عن استراتيجيةٍ خطابيةٍ ذكيّة، تجمع بين موروث المتلقّي الديني ووعيه الاجتماعي المعاصر. وخالصةُ القول في هذا المبحث أنّ الموقف السياسي عند الجواهري قد تشكّل تكوينياً عبر ثلاث مراحل متراكبة: مرحلة المحيط الوطني، فمرحلة النقد للمؤسسة الملكية، فمرحلة التحوّل نحو الفكر التقدّمي. وقد أضافت كلّ مرحلةٍ من هذه المراحل إلى خطابه السياسي بُعداً جديداً، دون أن تُلغي المراحل السابقة، مما أنتج خطاباً متعدّد الطبقات (الدجيلي، 1972، ص. 59).

### المبحث الثاني: ثنائية (الداخل والخارج) في الموقف السياسي

إذا كان المبحث السابق قد تتبّع تشكّل الوعي السياسي عند الجواهري، فإنّ هذا المبحث يدرس تجلّيات هذا الوعي في فضاءٍ بين متمايزين ومتداخلين: «الداخل» (العراق) و«الخارج» (المنفى والقضايا القومية). وهذه الثنائية ليست جغرافيةً فحسب، بل ثنائيةً موقفٍ ورؤيةٍ تنعكس في بنية القصيدة الجواهريّة ذاتها.

المطلب الأول: شعُر الاحتجاج والثورة (رؤية في الحركات الشعبية والانتفاضات)

يُمثّل شعُر الاحتجاج والثورة العمودَ الفقريّ لخطاب الجواهري السياسي، إذ كان الشاعر -وفق توصيف ذكرى- ثائراً فعلاً وثورياً أصلاً في زمانه (ذكرى، 1999، ص. 50). وقد اتّبِع في هذا اللون ثلاث استراتيجياتٍ خطابيةٍ متدرّجة: التحريض، فالتعبئة، فالدعوة المباشرة إلى التغيير. ومن نماذج خطاب التحريض قوله في إحدى قصائده التي تستهدف تحريك الشعور الجمعي (الجواهري، 1973، ج 3، ص. 187):

تَخَوَّف أن ترمي به مسلماً وعرأ إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تُعري  
تريد على أوضاعها ثورة كبرى ولكذك المغرور تنزع بالأخرى

في هذه الأبيات خطابيةٌ تأنيبية، يُخاطب فيها الشاعر المتلقّي مخاطبةً موجّهة، كاشفاً تناقضاً بين «الرغبة في الثورة الكبرى» و«الخوف من الجوع والعري». وهذه تقنية المفاصلة التي يستخدمها الجواهري كثيراً في خطابه التحريضي، إذ يضع المتلقّي أمام «مرآة تناقضاته» ليدفعه إلى تجاوزها.

وفي مرحلةٍ متقدّمةٍ من خطابه السياسي، ينتقل الجواهري من التحريض إلى الدعوة المباشرة إلى التغيير، يقول (الجواهري، 1973، ج 4، ص. 72):

أنتَ الجديُّ فجدِّد في الحياة بنا ولا تُعدّ كلَّ شيءٍ كان وانكشفا

في هذا البيت خطابٌ تأسيسيّ، يدعو فيه الشاعر إلى تجديد راديكاليّ يقطع مع الماضي. ويرى الشمس أنّ الجواهري في هذه المرحلة بلغ ذروة نضجه السياسي، إذ تجاوز الاحتجاج على الواقع إلى تصوّر بدائل له، وهذا ما لم يبلغه كثيرٌ من شعراء جيله (الشمس، 1980، ص. 53).

وفي معالجته للحركات الشعبية، يلجأ الجواهري إلى تقنية المشهد الدرامي، فيحوّل الانتفاضة إلى مشهدٍ شعريٍّ متكاملٍ يستحضر فيه شخصيات المعركة -الثائر، والجلاّد، والضحيّة، والجموع- ويُدير بينها حواراً شعرياً صامتاً. وهذا ما نلاحظه في قصيدته في الانتفاضة، يقول (الجواهري، 1973، ج 3، ص. 136):

إنّ الحكومة بالسيّاط تُدأَم حتى كأنّ الأرض منها رُكامٌ  
وإذا بما ركنوا إليه ركامٌ لا يستراخُ الشُّعورُ والقلمُ الحُرُّ

تننظم في هذه الأبيات ثلاث صور متعاقبة تشكّل مشهداً درامياً متكاملًا: صورة السلطة القمعية (الحكومة بالسيّاط)، وصورة الانفجار الثوري (تنفجر الألغام)، وصورة الانهيار النهائي (ركام). وبهذه الصور المتعاقبة يستطيع الجواهري أن يخلط ديناميكياً الانتفاضة في بضعة أبياتٍ، دون أن يضحّي بالكثافة الجمالية.

المطلب الثاني: سياسة المنفى (كيف قرأ الجواهري أحداث الداخل من وراء الحدود؟)

تُمثّل تجربة المنفى محطة مفصلية في حياة الجواهري ووعيه السياسي، إذ غادر العراق مراراً منذ الستينيات، وأقام في براغ ودمشق وغيرهما، حتى رحيله في دمشق سنة 1997م. وقد أنتج المنفى عند الجواهري خطاباً سياسياً جديداً، يختلف في نبرته ومضامينه عن خطاب مرحلة الداخل.

وأول ما يلاحظ في خطاب المنفى عند الجواهري هو تحوّل الموقف السياسي من «موقف المشارك في الحدث» إلى «موقف المتأمل في مآلاته»؛ فالشاعر في الداخل كان جزءاً من المشهد، أما في المنفى فقد غدا ناقداً للمشهد من زاوية أبعد. ويرى حسن (1997) أنّ المنفى أكسب الجواهري بُعداً تأملياً عميقاً، فتحوّل خطابه من النبوة التحريضية المباشرة إلى نبوة فلسفية تأملية (ص. 26).

ومن أبرز نماذج هذا التحوّل قصيدة «براغ»، يقول فيها (الجواهري، 1973، ج5، ص. 210):

بعيداً عن الأهل والأحبة والوطن      وَقَفْنَا هُنَا نَتَأَمَّلُ رُوحِي وَالرَّمْنَ  
تَلَوْتُ مَرَارَةً مَنَفَى طَوِيلٍ مُرِيبٍ      وَنَحْلُمُ بِالْعُودَةِ الْمُمَكَّنَةِ وَالْحَنِينِ

في هذه الأبيات نبوة شخصية جديدة على الجواهري، نلاحظ فيها تحوُّلاً من الخطابية إلى التوحد. فالشاعر هنا لا يخاطب جموعاً ولا يحرض شعباً، بل يتأمل ذاته وحدثه في المنفى. وهذا ما يُسمّى في النقد السياسي «تسييس الذاتي»، أي تحويل التجربة الذاتية إلى تجربة سياسية، وتحويل الوحدة الفردية إلى رمز للوحدة الجمعية للمنفيين العرب.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ خطاب المنفى عند الجواهري ليس خطاب «حنين» فحسب، بل خطاب «نقد مزدوج»: نقد للسلطة التي طردته، ونقد ذاتي لمسيرته. ويرى ذكرى أنّ خطاب المنفى عند الجواهري يحمل بُعداً تراجمياً عميقاً، إذ يجمع بين الحنين إلى الوطن والإحساس بفشل المشروع السياسي الذي ناضل من أجله (ذكرى، 1999، ص. 54).

ويبلغ هذا الإحساس التراجمي ذروته في قصائد الجواهري الأخيرة، التي ينظر فيها إلى تاريخ القرن العشرين العربي نظرةً يائسة، فيرى فيه دورةً مُغلقةً من الهزائم والإحباطات. ومع ذلك فإنّ الجواهري - حتى في أشدّ لحظات يأسه - لم يتنازل عن «كرامة الموقف»، فظلّ يكتب ويُعارض حتى آخر أيامه.

المطلب الثالث: الموقف من القضايا القومية (العروبة، فلسطين، والوحدة)

لم يكن الجواهري شاعراً عراقياً بالمعنى الضيق، بل كان شاعراً قومياً عربياً في عمق تكوينه الثقافي والسياسي. وقد عبر هذا البعد القومي عن نفسه في قصائد كثيرة، تتمحور حول ثلاث قضايا كبرى: العروبة، وفلسطين، والوحدة العربية.

ففي القضية الفلسطينية، نظم الجواهري قصائد عدّة، أبرزها قصيدته التي يقول فيها (الجواهري، 1973، ج3، ص. 265):

فلسطينُ التي طَوَّقَتْهَا بَدْمِي      وَأَنْتِ تَحْمِلُ فِي جَنَبِكَ مَا تَحْمِلُ  
يا ابنَ الفُرَاتَيْنِ هذا الجُرْحُ نازفةٌ      وهذه الأرضُ تَسْتَجِدِي وتَسْتَصْرخُ

يتجلّى في هذين البيتين موقفٌ قوميٌّ متكامل، يقوم على ثلاثة مرتكزات: وحدة الدم والمصير (طوّقتها بدمي)، وخطاب الأخوة (يا ابن الفراتين)، والنداء للنجدة (تستجدي وتستصرخ). وتُشكّل هذه المرتكزات الثلاث البنية الأيديولوجية للخطاب القومي عند الجواهري.

وفي قضية العدوان الثلاثي على مصر 1956م، نظم الجواهري قصيدته الشهيرة في بور سعيد، التي تُمثّل ذروة خطابه القومي (الجواهري، 1973، ج4، ص. 45):

بور سعيدَ يا جِسْرَ الكرامةِ هلْ      ستَعْبُرُ الأُمَّةَ نحوَ المَجْدِ من جِسْرِكَ؟

وَدَعْتُ فِي عَيْنَيْكَ كُلَّ مَذَلَّةٍ وَقَرَأْتُ فِي جَبْهَتِكَ السَّمَاءَ بُشْرَى نَصْرِكَ

ينطوي هذا المقطع على تشخيص مكاني يُحوّل مدينة بور سعيد من ظاهرة جغرافية إلى كائن حيّ يحمل «بشرى النصر». وهذا التشخيص - كما رأينا في قصيدته في دجلة - من أبرز تقنياته الجمالية في الخطاب السياسي القومي.

أما في ما يخص مشروع الوحدة العربية، فقد أيد الجواهري مشروع الوحدة بين مصر وسوريا 1958م، ورأى فيه «بداية تحقيق الحلم القومي الكبير»، لكنّه - بحسب النقد - لم يكن من المتفائلين السذج، بل حمل تحفظات على «الطريقة التي تتم بها الوحدة»، إذ رأى أنّ الوحدة القومية ينبغي أن تكون «وحدة شعوب لا وحدة أنظمة». وقد تجلّى هذا الموقف النقدي في قصائده التي نظمها بعد انفصال 1961م، إذ ظهرت خيبة الأمل العميقة، دون أن يتخلّى عن المبدأ القومي ذاته (الأعرجي، 2000، ص. 99-100).

وخلص القول في هذا المبحث أنّ ثنائية الداخل والخارج في خطاب الجواهري السياسي ليست ثنائية فاصلة، بل ثنائية متكاملة تتغذى كلّ منهما بالأخرى؛ فالداخل (العراق) يفترض الخارج (الأمة العربية) لاكتمال معناه، والخارج (المنفى) يفترض الداخل (الوطن) ليكون منفي حقيقياً. وفي هذا التداخل تتجلّى «الرؤية الوطنية القومية الشاملة» التي ميّزت خطاب الجواهري السياسي عن أقرانه من شعراء القرن العشرين.

المبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب السياسي - الجماليات الوظيفية

بعد أن استعرضت الدراسة في المبحثين السابقين تشكّل الوعي السياسي عند الجواهري وتجلياته الموضوعية، يصل البحث في هذا المبحث إلى السؤال الفتي الجواهري: ما الاستراتيجيات الخطابية التي اعتمدها الجواهري في تمرير مواقفه السياسية؟ وكيف وظّف الجماليات الشعرية خدمةً للموقف السياسي؟

المطلب الأول: الهجاء السياسي وفنّ «الشتيمة الراقية»

يُعدّ الهجاء السياسي من أبرز استراتيجيات الخطاب السياسي عند الجواهري، وقد بلغ فيه مستوى نادراً يستحقّ معه أن يُسمّى «فنّ الشتيمة الراقية» أو «الهجاء المهذب». ويقوم فنّ الهجاء السياسي عند الجواهري على أربعة أركان: اللغة الجزلة (لا ابتذال)، والصورة المكثفة (لا تطويل)، والسخرية المرّة (لا فحش)، والإحالة التاريخية (لا انعزال عن السياق).

ومن أبرز نماذج هذا الفنّ قصيدته في الوزير هاشم الوترى التي مرّ ذكرها، وقصيدته في نوري السعيد، يقول فيها (الجواهري، 1973، ج3، ص. 135):

جَرَّعَوهَا الشُّعُوبَ جَاماً فَجَاماً أَيُّ شَعْبٍ يُرْضِيهِ أَنْ يُسْتَضَامَا؟

سَوَّسُوا الْأَرْضَ هَلْ أَصَابُوا اعْتِصَاماً أَيُّ ظَلَمٍ كَهَذَا الظُّلْمِ يَلَامَا؟

تنطوي هذه الأبيات على ثلاث آليات هجائية: أولها الجناس الصوتي (جاماً فجاماً، اعتصاماً يلاماً)، وثانيها الاستفهام الإنكاري (أيّ شعب، أيّ ظلم)، وثالثها صورة الاستضامة (الجام المتعاقبة من المرارة). وبهذه الآليات الثلاث يستطيع الجواهري أن يجعل الهجاء «موسيقياً» على الرغم من مرارة مضمونه.

ومن منظور نقدي ثقافي، يكشف هجاء الجواهري عن نسقين متضافرين: نسق المعارضة السياسية (الواعي)، ونسق الفحولة الشعرية (المضمّر). وهذا الأخير يجعل من الشاعر «ذاتاً فحلاً» تسحق خصوصتها. ويرى الغدّامي (2005) أنّ الهجاء السياسي في الشعر العربي يحمل في باطنه نسق الفحولة الذي يجعل من السياسة معركة ذكورية، لا معركة مبادئ (ص. 118).

ومع الوعي بهذا النقد الثقافي، يبقى للهجاء السياسي عند الجواهري قيمةً وظيفيةً كبرى، إذ كان الوسيلة الأنجع للتعبير عن المعارضة في ظلّ سلطات قمعية. وقد دفع الجواهري ثمن هذا الهجاء سجناً ومنفىً ومطاردة، مما يدلّ على أنّ شعره كان «فعالاً سياسياً» لا مجرد كلام (العلي، 1998، ص. 33).

## المطلب الثاني: الرمز السياسي وقناع التاريخ

إلى جانب الهجاء المباشر، اعتمد الجواهري على الرمز السياسي وقناع التاريخ لتمير مواقفه في الظروف التي يصعب فيها التصريح. وتقنية «القناع» - كما هو معروف في النقد الحديث - هي أن يستعير الشاعر صوتاً تاريخياً (شخصية، أو حدثاً، أو رمزاً) ليُمزج من خلاله خطابه المعاصر. ومن أبرز الأفتعة التي وظفها الجواهري في خطابه السياسي ثلاثة:

(1) قناع الإمام الحسين (عليه السلام): وهو الأكثر حضوراً في خطابه السياسي، يستدعيه بوصفه نموذجاً للثورة على الظلم. يقول في إحدى قصائده (الجواهري، 1973، ج3، ص. 203):

فِدَاءً لِمَثْوَاكَ مِنْ مَضْجَعٍ ××× تَنْوَرُ بِالْأَبْلَجِ الْأَزْهَرِ  
بَأَعْبَقٍ مِنْ نَفْحَاتِ الْجِنَانِ ××× رُوحاً وَأَزْكَى مِنْ الْأَذْفَرِ

إنَّ الإحالة هنا -ظاهراً- إلى مرقد الإمام الحسين في كربلاء، لكنّها -ضمناً- خطابٌ سياسيٌّ معاصرٌ، يستلهم من الحسين نموذج المعارضة التي لا تترك للظلم. ويرى النابلسي أنَّ الجواهري هو الشاعر العربي الوحيد الذي حوّل الحسين من رمزٍ مذهبيٍّ ضيقٍ إلى رمزٍ ثوريٍّ كونيٍّ يصلح لكلِّ مظلومٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ (النابلسي، 1986، ص. 212).

(2) قناع المتنبي: وقد عُرف الجواهري بتأثره الشديد بالمتنبي حتى أُقْبِ بِ«متنبي القرن العشرين»، ويستدعي الجواهري المتنبي ليعبر من خلال صوته عن مشاعر الكبرياء والتمرد في وجه السلطة. وفي هذا الاستدعاء إعلانٌ انتماءٍ إلى تراث المعارضة الشعرية في الأدب العربي.

(3) قناع أبي ذرّ الغفاري: وهو الشخصية الإسلامية التي يستدعيها الجواهري بوصفها نموذجاً للمعارضة الاجتماعية ضدّ تكديس الثروات. وكان أبو ذرّ -كما هو معلوم- من المعارضين البارزين لسياسة عصره، فأبعد إلى الرّيذة. ويستثمر الجواهري هذا الإطار التاريخي ليعبر عن نقده للنظام الاجتماعي الجائر في عصره.

ومن الرموز السياسية التي وظفها الجواهري كذلك: الرموز الطبيعية (الفجر، الليل، الجمرة، النخلة)، والرموز المكانية (دجلة، الفرات، الكوفة، النجف، كربلاء، بغداد). ويرى البصري أنَّ الجواهري في توظيفه للرموز السياسية يجمع بين ثلاث مدارس: المدرسة الكلاسيكية في الجزالة، والمدرسة الرومانسية في الانفعال، والمدرسة السيميائية في كثافة الدلالة (البصري، 1986، ص. 38).

## المطلب الثالث: شعريّة «المنشور السياسي» (دراسة في الإيقاع واللغة الجماهيرية)

تُمثّل «شعريّة المنشور السياسي» إحدى أبرز التقنيات التي ابتكرها الجواهري في خطابه السياسي، وهي تقنيةٌ تجعل من القصيدة «منشوراً جماهيرياً» يتلى في الساحات ويُحفظ في الذاكرة. وتقوم هذه الشعريّة على ثلاثة أركان: الإيقاع الموسيقي القوي (البحور الكلاسيكية)، واللغة السهلة الجماهيرية (المعجم البسيط)، والبنية التحريضية (النداء، والأمر، والاستفهام الإنكاري).

ومن أبرز نماذج هذه الشعريّة مطلع قصيدته المشهورة (الجواهري، 1973، ج4، ص. 253):

سَلَامٌ عَلَى هَضْبَاتِ الْعِرَاقِ وَشَطَائِنِهِ السَّهْلِ وَالجَبَلِ

في هذا البيت كلّ مقوّمات المنشور السياسي: النداء التحية (سلامٌ على)، والتعدادُ الجغرافي (هضبات، شطآن، سهل، جبل) الذي يستوعب كلّ الجغرافيا العراقية، والإيقاع الموسيقي القوي، والبساطة المعجمية (لا غريب ولا مُعقّد). وبهذه المقوّمات الأربع يصبح البيت «نشيداً جماهيرياً» يحفظه كلّ عراقي.

وهذا ما يفسّر الانتشار الجماهيري الواسع لقصائد الجواهري السياسية في حياته، إذ كانت تُحفظ على الألسن، وتُرَدّد في المظاهرات والاعتصامات، وتُتلى في المناسبات الوطنية. ويرى سلوم أنَّ الجواهري هو الشاعر

العربي الوحيد في القرن العشرين الذي حقّق معادلة «الفصاحة مع الجماهيرية»، فلم يضحّ بإحداهما من أجل الأخرى (سلوم، 1989، ص. 10).

ومن جهة نقدية خطابية -بالمعنى الفوكوي- تكشف «شعريّة المنشور السياسي» عند الجواهري عن وعيٍ متقدّم باليات تشكيل الخطاب الجماهيري؛ فالشاعر هنا لا يكتفي بالقول، بل يُصمّم القول بحيث يُنتج تأثيراً سياسياً معيّناً في المتلقّي. وهذا ما يجعل من خطابه خطاباً سلطوياً —بالمعنى المضاد— أي خطاباً يمارس سلطةً على المتلقّي مساويةً لسلطة النظام السياسي القمعي، غير أنها سلطة «تحرير» لا سلطة «قمع» (فوكو، 2007، ص. 58).

وخلاصة القول في هذا المبحث أنّ الاستراتيجيات الخطابية الثلاث (الهجاء السياسي، والرمز والقناع، وشعرية المنشور) تُشكّل بصمةً أسلوبيةً مميزةً للجواهري في خطابه السياسي، تجمع بين «العمق الفكري» و«الفعالية الجماهيرية»، وتحوّل القصيدة إلى «أداة تغيير سياسي» لا مجرد تعبير جمالي.

### الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة التحليلية في خطاب الجواهري السياسي، ودراسة مواقفه من خلال شعره، يمكن تلخيص أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط الآتية:

(1) ديناميكية الموقف السياسي: ثبت من خلال تحليل نصوص الجواهري أنّ مواقفه السياسية كانت ديناميكية تتطوّر بتطوّر وعيه، وتتجاوب مع تحولات الواقع، دون أن يُعدّ ذلك تنازلاً عن المبدأ، بل نضوجاً للموقف.

(2) ثبات المبدأ مع تحوّل التكتيك: احتفظ الجواهري بـ«ثبات المبدأ» (الانحياز إلى الشعب، ورفض الظلم، والتمسك بالعروبة) في الوقت الذي كانت تتغيّر فيه «تكتيكات الموقف» (التحالفات، والنبذة، والجمهور المستهدف).

(3) تأصيل الهوية السياسية للشعر العربي الحديث: استطاع الجواهري -من خلال تجربته- أن يؤصّل «هويةً سياسية» للشعر العربي الحديث، تجمع بين الموروث الكلاسيكي والوعي المعاصر، وتتجاوز الانتماءات الحزبية الضيقة إلى أفق الالتزام الوطني والقومي الشامل.

(4) استقلالية الشاعر السياسي: قدّم الجواهري نموذجاً نادراً للشاعر السياسي المستقلّ، الذي لا يخضع لإغراءات السلطة ولا لضغوط الانتماء الحزبي، ودفع ثمن هذه الاستقلالية سجوناً ومنفىً وحرماناً من الوطن.

(5) الأنساق الثقافية المضمّرة: كشف التحليل الثقافي عن أنساقٍ مضمّرة في خطاب الجواهري السياسي، أبرزها نسق «الفعولة الشعرية»، ونسق «البطولة التراثية»، ونسق «الشهادة الدينية»؛ وتتفاعل هذه الأنساق في خطابه لإنتاج «خطاب هجين» يجمع بين القديم والحديث.

(6) ثلاث استراتيجيات خطابية مركزية: اعتمد الجواهري على ثلاث استراتيجيات خطابية في تمرير مواقفه السياسية: الهجاء السياسي المباشر، والرمز وقناع التاريخ، وشعرية المنشور السياسي؛ وتناسب كلّ استراتيجية ظرفاً سياسياً معيّناً ومستوى مخاطرة مختلفاً.

(7) ثنائية الداخل والخارج: شكّلت ثنائية الداخل (العراق) والخارج (المنفى والقضايا القومية) بنيةً مركزيةً في خطاب الجواهري السياسي، تتغذّى كلّ جهةٍ منها بالأخرى لإنتاج خطابٍ سياسيٍّ متكاملٍ يتجاوز المحلي إلى الكوني.

(8) تطوّر اللغة السياسية: مرّت اللغة السياسية عند الجواهري بتطوّر نوعيٍّ من «المعجم الكلاسيكي» إلى «المعجم التقدّمي»، مع الاحتفاظ بالجزالة والفصاحة، مما أنتج «لغةً هجينةً» فريدةً تميّز بها عن أقرانه.

(9) المثقف العضوي: يُمثّل الجواهري نموذجاً تطبيقياً متكاملًا لمفهوم «المثقف العضوي» الغرامشي، الذي يخرط في معارك شعبه ولا يقف منها موقف المتفرّج، ويصوغ وعي طبقته الاجتماعية بأدوات الفنّ.

(10) خلود الموقف السياسي: إن سرّ خلود خطاب الجواهري السياسي ليس في ارتباطه بأحداثٍ بعينها، بل في كونه يعبر عن «مواقف إنسانية كونية» (رفض الظلم، والانحياز إلى المظلوم، والإيمان بالحريّة) تتجاوز زمنها إلى كلّ الأزمنة.

وفي ضوء هذه النتائج، يمكن القول إن تجربة الجواهري السياسية تُمثّل ذروة القصيدة السياسية الملتزمة في الشعر العربي الحديث، وأنها لا تزال -رغم مرور السنين- قادرةً على إلهام الأجيال الجديدة من الشعراء والمثقفين. ويوصي البحث -في ختام هذه الدراسة- بتعميق القراءات النقدية لشعر الجواهري، وخصوصاً عبر المناهج النقدية الحديثة (السيمائية، والتداولية، والتحليل الثقافي)، كما يوصي بإعداد معجمٍ سياسيٍّ لشعر الجواهري يرصد المفردات والصور السياسية في ديوانه ويحلّل تطوّرها.

قائمة المصادر والمراجع

الأعرجي، م. ح. (2000). الجواهري يتذكّر مجده ومواجهه. مجلة المدى (عدد خاص بالجواهري)، 99-100.

البصري، ع. ج. (1986). الجواهري شاعر الجمال والجلال. بغداد: دار الجاحظ.

بطاطو، ح. (1992). العراق: الكتاب الثاني - الحزب الشيوعي (ط. 1) (ع. الرزاز، مترجم). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الجابري، م. ع. (2002). تكوين العقل العربي (ط. 8). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجواهري، م. م. (1973). ديوان الجواهري (المجلدات 1-7). بيروت: دار العودة.

الجواهري، م. م. (1988). ذكرياتي (ط. 1، الجزء 1-2). دمشق: دار الرافدين.

الجواهري، م. م. (2000). الديوان (ط. 1، ج 1). بيروت: دار بيسان للنشر والتوزيع.

حسن، ع. ب. (1997). القصيدة الأخيرة للجواهري - اشترى قبره وجلس ينتظر. مجلة الثقافة الجديدة (بغداد)، 26.

حسين، ط. (1976). حديث الأربعاء (ط. 10). القاهرة: دار المعارف.

الدجيلي، ع. ك. (1972). محمد مهدي الجواهري - دراسات نقدية. بغداد: دار الحرية للطباعة.

ذكرى، م. (1999). محمد مهدي الجواهري - مئة عامٍ من الحضور وبعد. مجلة الثقافة الجديدة (بغداد، عدد خاص)، 50-60.

ريكور، ب. (2006). الزمان والسرد (س. الغانمي، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

روسو، ج. ج. (1973). في العقد الاجتماعي (ذ. قرقوط، مترجم). بيروت: دار القلم.

سعيد، إ. (1996). تمثيلات المثقف (ع. غصن، مترجم). بيروت: دار النهار.

سلمو، د. (1989). مقالات عن الجواهري وآخرين. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

الشايب، أ. (1976). تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني (ط. 5). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشمس، ن. (1980). المُغني في فنّ الشعر. بيروت: دار العلم للملايين.

الصائغ، ع. الإ. (2005). الخطاب الشعري عند الجواهري. أربيل: دار آراس.

الطاهر، ع. ج. (1980). الجواهري: شعره وطبيعته. بغداد: دار الرشيد للنشر.

العقاد، ع. م. (1995). اللغة الشاعرة. القاهرة: دار نهضة مصر.

العلي، ح. (1998). الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد. بيروت: دار الكنوز الأدبية.

علوان، ع. ع. (1975). تطور الشعر العربي الحديث في العراق. بغداد: منشورات وزارة الإعلام.

- علوان، ع. ع. (1990). عن الجواهري الشاعر والسياسي والإنسان. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- علوش، ن. (1981). شعر الجواهري بين الكلاسيكية والحداثة. بيروت: دار ابن رشد.
- عصفور، ج. (1997). آفاق العصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الغذامي، ع. الله. (2005). النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط. 3). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- غرامشي، أ. (1994). كراسات السجن (ع. غنيم، مترجم). القاهرة: دار المستقبل العربي.
- غولدمان، ل. (1985). البنيوية التكوينية والنقد الأدبي (م. سبيلا، مترجم). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- غولدمان، ل. (1986). نحو علم اجتماع الرواية (ط. 1) (س. البحراوي، مترجم). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
- الفيروزآبادي، م. ب. ي. (1987). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- فوكو، م. (2007). نظام الخطاب (م. سبيلا، مترجم). بيروت: دار التنوير.
- كريم، ف. (2002). من الغربية حتى وعي الغرب. دمشق: دار المدى.
- مروة، ح. (1981). دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي (ط. 2). بيروت: دار الفارابي.
- النبلسي، ش. (1986). مجنون التراب: دراسة في شعر الجواهري. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الناهي، غ. (إعداد). (1996). هكذا تحدّث الجواهري. دمشق: دار العصر للنشر.
- ابن منظور، م. م. (1994). لسان العرب (ط. 3). بيروت: دار صادر.
- يقطين، س. (1997). تحليل الخطاب الروائي (ط. 3). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- إيغلتن، ت. (1995). نظرية الأدب (ن. ديب، مترجم). دمشق: وزارة الثقافة.
- باختين، م. (1987). الخطاب الروائي (ط. 1) (م. برادة، مترجم). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر.
- بارت، ر. (1993). درس السيميولوجيا (ط. 3) (ع. س. بنعبد العالي، مترجم). الدار البيضاء: دار توبقال.
- أحمد، إ. خ. (1989). تاريخ العراق المعاصر (ط. 2). بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- أحمد، ك. م. (1987). صفحات من تاريخ العراق المعاصر. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.